منشأ الرهبنة بسيناء•

تأسست الرهبنة فى سيناء[١] منذ القرن الثالث الميلادى حيث تجمع الرهبان حول مصادر المياه فى أشكال مختلفة منها Cenobites أى مجموعة من الرهبان يعيشون معاً [٢] ومنها Anchorite أى شخص منقطع للعبادة يعيش بمفرده[٣] وبدأوا فى تأسيس مجتمعات رهبانية في سيناء فى مناطق عديدة ففى منطقة رايثو[٤] (مدينة الطور حالياً) كان يعيش المنقطع موسى فى القرن الثالث الميلادى وكان له علم بالطب فشخّص عديد من الأمراض فتحول كثير من بدو هذه المنطقة للمسيحية[٥] ولقد تأسس مجتمع رهبانى بالطور وتأكد ذلك من خلال ما تم اكتشافه من دير بقرية الوادى (٥كم شمال الطور) يحوى كنيستين ومعموديّ وعدد ٦٤قلاّية للرهبان بالطابق الأول ونفس العدد كان بالطابق الثانى ، فقد كان الدير يتكون من طابقين تهدم الطابق الثانى وتبقى الدرج المؤدى إليه في اماكن مختلفة بالدير (موضح بالمسقط الأفقى) ، والدير بناه جستنيان فى القرن السادس الميلادى لإقامة الرهبان بهذه المنطقة ، ولوقوع الدير في موقع وسط بين دير سانت كاترين ومصر العليا وفلسطين فكان يستخدم لاستضافة الحجاج المسيحيين فى طريقهم إلى دير سانت كاترين وإلى فلسطين ، وظل عامراً حتى العصر الفاطمى وذلك من خلال ما عثر عليه من منقولات ترجع للعصر الفاطمى أهمها مجموعة أطباق كاملة من الخزف ذو البريق المعدنى الفاطمى

وفى منطقة الجبل المقدس جبل سيناء (منطقة سانت كاترين حالياً) نشأت عدة مجتمعات رهبانية ، زارها كثير من الحجاج المسيحيين

ففى عام ٣٣٦م زارت الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين منطقة جبل سيناء ، وشاهدت هناك عدة مجتمعات رهبانية فأسست لهم كنيسة بجوار شجرة العليقة الملتهبة تسمى كنيسة العذراء ، وكذلك برجين محصنين [٦]

• **عبد الرحيم ريحان بركات : كبير مفتشى آثار خليج العقبة – سيناء**

جميع أعمال الحفائر الخاصة بسيناء المذكورة فى البحث قام بها مجموعة من مفتشى الآثار الإسلامية والمصرية بجنوب وشمال سيناء تحت إشراف هيئة الآثار المصرية (المجلس الأعلى للآثار حالياً) وكان من ضمنهم الباحث وتم ذلك فى عدة مواسم منذ عودة سيناء للسيادة المصرية.

أما حفائر وادى فيران فقد قامت بها البعثة الألمانية برئاسة Prof. Dr / P. Grossmann وكان الباحث مشرفاً على أعمال البعثة موسمى ١٩٩٢-١٩٩٥ممثلاً لهيئة الآثار المصرية فى ذلك الوقت.

١ سميت سيناء لمعناها اللغوى (حجر) أو بلاد الأحجار ٠ أنظر٠ إبراهيم أمين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٣ ، وسينين تعني شجر ومفردها سينية أي شجرة ٠ أنظر المختار الصحاح ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ٣٢٦

وسميت كذلك لتأصيلها العقائدى بأنها اشتقت من سين اله القمر وهى من أقدم العبادات التى عرفها الإنسان ٠ أنظر ٠ قدرى يونس العبد، سيناء ، سلسلة إقرأ عدد ٥٣٨ دار المعارف ١٩٨٨، ص ١٠ وأطلق عليها الفرعنة توشيت أى أرض الجدب والعراء ، والآشوريين سموها مدين ، والإغريق سموها أرابيابيترا أى بلاد العرب الحجرية ، وذكرت فى القرآن سينين (سورة التين آيه٢) ، وسيناء (سورة المؤمنيين آيه ٢٠)

٢ دير سيناء المقدس ، دير سانت كاترين بسيناء ، ١٩٨٦ ، ص٨

٣رأفت عبد الحميد، الفكر المصرى فى العصر المسيحى ، القاهرة ، ص ٢٧٢

٤ سميت الطور نسبة إلى طور سيناء وهو أشهر جبالها وكانت قديما تعرف باسم رايثو حتى القرن الخامس عشر الميلادى ٠ أنظر ٠ نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء ، دير سانت كاترين بسيناء ، ١٩٩٥ ص١٤٨ ، وربما سميت الطور لسكانها من الطورة وهى قبائل العليقات ومزينة والعوارمة وأولاد سعيد والقرارشة والجبالية ويطلق عليها كلها إسم الطورة ٠ المرجع نفسه ص ١٢٧ ، وذكرت الطور فى القرآن الكريم فى ٨سور

٥ متولى نور ، سيناء أرض مباركة ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص٤٠

[٦] رؤوف حبيب، الموجز التاريخى عن الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٠ – ١٤١

وفى عام ٤٠٠م زار الراهب نيلوس جبل سيناء وشاهد عديد من المنشئات الرهبانية وفى عام ٤٥٠م زارت القديسة سلفيا (راهبة من أسبانيا) منطقة جبل سيناء ووصفت كنيسة صغيرة قائمة هناك ، وكنيسة أعلى جبل سيناء (جبل موسى أو جبل حوريب)[٧] وفى عام ٣٧٣م زار الراهب أمونيوس سيناء سيناء فى طريق عودته من فلسطين ووصف المجتمعات الرهبانية وطريقة حياة الرهبان ، وكيف كانوا يعيشون متجمعين أو أفراد منقطعين للعبادة.

ومن أهم المنشئات بمنطقة جبل سيناء هو دير سانت كاترين الذى أنشأه جسنيان فى القرن السادس الميلادى ، والذى يشمل بداخله الكنيسة التى بنتها الإمبراطورة هيلانة فى القرن الرابع الميلادى وكنيسة التجلى الذى أنشأها جستنيان فى القرن السادس الميلادى

وفى العصر الفاطمى وتعبيراً عن سماحة الإسلام وحفاظاً من المسلمين على المنشئات الدينية السابقة واحترام جميع الأديان ، والتى تجلت صورها فى ازدهار منشئات الدير وإضافة عديد من الأعمال الخشبية أهمها الباب الفاطمى بالكنيسة الرئيسية الذى يؤدى لدهليز المدخل الغربى Narthex وبلغت العلاقة القوية بين المسلمين والمسيحيين ذروتها بإنشاء مسجد فاطمى داخل سور الدير وجاور للكنيسة الرئيسية ، تم بناؤه فى عهد الآمر بأحكام الله ٥٠٠ هجرية — ١١٠٦م ، يتكون من ثلاثة أروقة وثلاثة محاريب ومنبر خشبى يعد واحداً من ثلاثة منابر كاملة معروفة حتى الآن على الطراز الفاطمى منهم بدر الدين الجمّالى ٤٨٤ هجرية — ١٠٩١م الموجود بالحرم الإبراهيمى بالجليل بفلسطين ، والثانى بمسجد الصالح طلائع فى قوص بصعيد مصر ٥٥٠ هجرية — ١١٥٥م ، كما يحوى المسجد كرسى عليه كتابة بإسم بانى المسجد وهو الأمير أنوشتكين الآمر نسبة إلى الخليفة الآمر بأحكام الله

أما منطقة وادى فيران التى تبعد ٥٠كم عن دير سانت كاترين فقد لعبت دوراً هاماً فى تاريخ الرهبنة فى سيناء ، فلقد تأسست هناك أبرشية فيران منذ القرن الرابع وحتى القرن السابع الميلادى[٨] ، وكان أول مطران لها هو Netra الذى عاش فى الربع الأخير من القرن الرابع إلى الربع الأول من القرن الخامس الميلادى ، ومن منشئات هذه المنطقة ما تم اكتشافه من أربعة كنائس بتل المحرض (مساحته ٢٠٠×٤٠٠م) أهمها أبرشية فيران نفسها التى بنيت فى القرن الخامس الميلادى شمال شرق التل ، وثلاث كنائس وعدةقلاّيات على الجبل المقابل لتل المحرض المسمى جبل الطاحونة ٧٣٠م فوق مستوى سطح البحر

وفى جزيرة فرعون[٩] في طابا تم الكشف عن كنيسة بيزنطية ، وأثبتت الحفائر أنه عند بناء القائد صلاح الدين لقلعته الشهيرة بجزيرة فرعون لم يستخدم حجراً واحداً من أحجار الكنيسة في مباني القلعة ولم تمس الكنيسة بسوء ، فمعالم الكنيسة بمدخلها وأروقتها وحنيتها والكتابات اليونانية على أحجارها باقية .

كم تجمع عدد من الرهبان حول مصادر المياه بشمال سيناء ، وتأكد ذلك من خلال ما تم اكتشافه من دير مساحته ٤١،٥ × ٥٧،٤م يحوى كنيسة بازيلكا ومعمودية وكذلك Martyrium وهو ملحق خاص للدفن .

وترجع أسباب الرهبنة إلى الاضطهاد للمسيحيين الذى بلغ ذروته فى عهد الإمبراطور مكسيمانوس أوائل القرن الرابع الميلادى حيث عذبت القديسة كاترين التى كانت تعيش فى الإسكندرية والتى رفضت أن ترتد عن المسيحية فأمر بذبحها بعد أن عذبها كثيراً ، والتى أطلق إسمها على الدير الذى

---

٧ دير سيناء المقدس /المرجع السابق ، ص ١٠

٨ عبده مباشر ، إسلام توفيق ، سيناء الموقع والتاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص١٥٤

٩ سميت أيضاً جزيرة المرجان وسماها الأوربيون جزيرة حراى ، تبعد ٩كم عن مدينة العقبة وإيلات مساحتها ٣٢٥×٦٠م ، ازدهرت فى القرن السادس الميلادى فى عهد جستنيان لاستخدامه ميناء أيله (الآن إيلات) لخدمة التجارة البيزنطية ،كما ازدهرت فى كل العصور الإسلامية خصوصاً العصر الأيوبى بإنشاء قلعة صلاح الدين لصد غارات الصليبيين وكان لها دور هام فى صد حملة الأمير الصليبى أرناط عام ١١٨٢م والتى مهدت لموقعة حطين

أنشأه جستنيان فى القرن السادس الميلادى وكان يسمى دير العذراء أو دير طور سيناء ، وأطلق أيضاً اسم سان كاترين على أعلى جبل في سيناء الذى يبلغ ارتفاعه ٢٦٤٢م فوق مستوى سطح البحر.

كما أن هناك أسباب أخرى للرهبنة ، فبعض الفلاحين لجئوا للرهبنة هرباً من العبودية والعمل الشاق[١٠] ، والبعض لجئوا لأماكن قريبة من منازلهم ليتمكنوا من العودة بعد زوال الخطر،والبعض الآخر لجأ لأماكن بعيدة في الصحراء اتخذها مقر دائم له وفضّل البقاء فيها حتى بعد زوال الخطر .

وبدأت حركة المعمار البيزنطى فى سيناء وأماكن أخرى بعد انتهاء فترات التعذيب ببداية عهد الإمبراطور قسطنطين ٣٢٤م والتى يطلق عليها الفترة البيزنطية المبكرة التى تبدأ من ٣٢٤ حتى ٦٤١م .

وبنيت معظم المبانى الدينية البيزنطية فى سيناء فى عهد جستنيان فى القرن السادس الميلادى والتى تميزت بالكنائس البازيليكية ، واستمرت هذه المبانى مزدهرة طوال العهود الإسلامية المختلفة وحتى الآن مثل دير سانت كاترين .

واتضح ذلك منذ أن وطئت أقدام المسلمين أرض سيناء وتمثل ذلك فى عهد الأمان الذى كتب فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يؤمّن فيه المسيحيين واليهود على ممتلكاتهم وأرواحهم وأماكنهم المقدسة ، وتوجد نسخة معتمدة بمكتبة دير سانت كاترين حالياً بعد أن أخذ السلطان سليم الأول النسخة الأصلية إلى اسطنبول .

وظل هذا العهد نبراساً لجميع خلفاء المسلمين فى كل العصور ، فازدهرت الفنون المسيحية ونمت أفكارهم وامتزج الفن المسيحى بالفن الإسلامى وحدث التأثير والتأثر تحت مظلة التسامح الإسلامى .

وهناك بعض المغالطات التاريخية التى اتخذها معظم المؤرخين الأجانب حجة للنيل من الحضارة الإسلامية وسماحة الإسلام المستمدة من تعاليم القرآن الكريم الذى حرّم التعدى على الأماكن المقدسة سواء كانت يهودية أو مسيحية أو إسلامية فقال سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) الحج ٤٠ والصومعة هى قلاّية الراهب الذى يعيش فيها والبيع هى الكنائس والصلوات جمع صلوتا وتعنى المعبد اليهودى والمساجد معروفة ومن هذه المغالطات فى قصة بناء المسجد الفاطمى داخل دير سانت كاترين يذكر GALEY فى كتابه Sinai and the monastery of saint katherine (أنه طبقاً للحديث المنقول حدث فى عام ١٠٠٠م أن أراد الحاكم بأمر الله هدم الدير ولكن الرهبان قابلوه فى منتصف الطريق وتوسّلوا إليه أن يؤمّنهم لأن فى الدير مكان مقدس للمسلمين وهو مسجد داخل الدير ' وليدّعموا كلامهم بنوا مسجد داخل الدير في وقت سريع)[١١]

ومن الثابت تاريخياً وأثرياً من الكتابة المحفورة على كرسى المصحف داخل المسجد ، أن المسجد بنى فى عهد الآمر بأحكام الله عام ٥٠٠هجرى ١١٠٦م وبناه ابو المنصور أنوشتكين الآمر نسبة إلى الخليفة الآمر بأحكام الله

إذاً الحاكم بأمر الله ورهبان الدير لا علاقة لهم ببناء المسجد والقصة كلها لا أساس لها من الصحة وإنما مجرد اختلاق شخص ما أو مجموعة أشخاص رددها الباقون كالببغاوات حتى أن معظم المؤرخين الذين ذكروا القصة يكررون According to tradition أى طبقاً للحديث المنقول من شخص لآخر دون سند تاريخى أو أثرى

ومن الثابت من خلال الوثائق التاريخية المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين.

---

[١٠] رأفت عبدالحميد/ المرجع السابق ص٢٧٧

[١١] -J. Galey , Sinai and the monastery of st katherine , Cairo ,1985 , p12

أولاً - أن الصلات القوية بين الدير والقسطنطينية لم تنقطع في العهد الاسلامى واستمر الدعم الروحى والمادى لدير كاترين وكان للدير مكانته واحترامه. [١٢]

ثانياً- فى العهد الإسلامى تعددت فرمانات الأمان من الخلفاء المسلمين بعد عهد الأمان الأول ومنها:

- منشور من الخليفة العاضد لدين الله يتضمن رعاية الرهبان وتسهيل مطالبهم وتأمينهم ٥٦٤هجرى- ١١٦٩م [١٣]
- وفى العصر الأيوبى دافع الخلفاء عن حقوق الرهبان ووفروا لهم الأمان من خلال الوثائق الموجودة بالدير [١٤]
- وفى عهد الأتراك والذى تخيل البعض قصصاً عن طغيانهم ازدهر الدير وحصل على أملاك عديدة فى كريت ورومانيا وبنى سليم الأول عدة حصون وجعل فيها حاميات من الجنود المغاربة لتأمين طريق الحج للمسيحيين. [١٥]

وأعطى السلطان سليم الأول وسليمان القانونى العديد من الامتيازات التى أعانت الدير ليصبح قوة اقتصادية تمثلت فى إعفاءات من الضرائب الجمركية كما تدّخل السلاطين الأتراك كثيراً مؤيدين مصالح الدير خاصة عندما طلب اليهود المتشددون أن يستولوا على المنطقة فحالوا بينهم وبين تحقيق غايتهم. [١٦]

إذاً ففى ظل سماحة الإسلام ونور الحضارة الإسلامية يتحقق السلام لكل البشر ، ففى ظلها تصان الأماكن المقدسة بعد أن تعرضت للتخريب والحرق والتشويه فى فلسطين

فهناك مؤامرة ترصد لها الأموال الطائلة تنفذ عن طريق منظمات وجماعات يهودية منذ عام ١٩٦٧م وحتى الآن تهدف إلى هدم المسجد الأقصى لتفريغ القضية من محتواها وجوهرها وتم ذلك عن طريق أعمال حفائر أثرية وشق أنفاق مرت بعشر مراحل بائت كلها بالفشل والمحاولات مستمرة، وأخطرها حفائر عام ١٩٨٨م وكان هدفها تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة لترك المسجدين قائمين على فراغ ليكونا عرضة للانهيار بفعل أى تقلبات مناخية أو اهتزازات طبيعية ، ولولا عناية الله لتم هذا المخطط ولكن فطنت دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس للمؤامرة فسارعت إلى إقامة سياج حول الأرض المجاورة للحائط الشرقى لمنع أعمال الحفر .

لذلك فهناك حاجه ليقظة وانتعاش للحضارة الإسلامية ، فالحضارة الإسلامية لا تموت ولا ينطبق عليها قول ابن خلدون أن الحضارة تنشأ فتشب وتشيب وتنهار لأن الحضارة الإسلامية مرتبطة بنص خالد تعهد الله بحفظه فهى مستمدة من فكر القرآن الكريم وتتحدث بلغته .

فما دام القرآن لم يضع من أيدينا ولم ننسه فلن تموت الحضارة الإسلامية وإنما يحدث تجديد وإحياء

بيان الصور

صورة رقم ١ : منظر عام لدير الوادى بالطور (القرن السادس الميلادى)

صوره رقم ٢ : مئذنة المسجد الفاطمى تعانق برج كنيسة التجلى فوق البقعة التى ناجى عندها موسى عليه السلام ربه وتلقى فيها ألواح الشريعة الموسوية

صورة رقم ٣ : أبرشية فيران فى القرن الخامس الميلادى

صورة رقم ٤ : البازيلكا البيزنطية بجزيرة فرعون (القرن السادس الميلادى)

---

[١٢] The monastery of st katherine on mount sinai, Sinai, 1985, p17

[١٣] رفعت الجوهرى ، سيناء أرض القمر ، القاهرة ، ص٧٢

[١٤] حوزيف نسيم ، دراسة وثائق العصرين الفاطمي والأيوبى ، ص ١٨٥ – ١٨٨

[١٥] J. Kamil, The monastery of saint katherine in sinai, Cairo, 1991, p31

[١٦] دير سيناء المقدس / المرجع السابق ص ١٨

بيان الأشكال

شكل ١ : خريطة لسيناء توضح مراكز تجمع الرهبان

شكل ٢ : مسقط أفقى لدير الوادى بالطور فى القرن السادس الميلادى (من عمل الباحث)

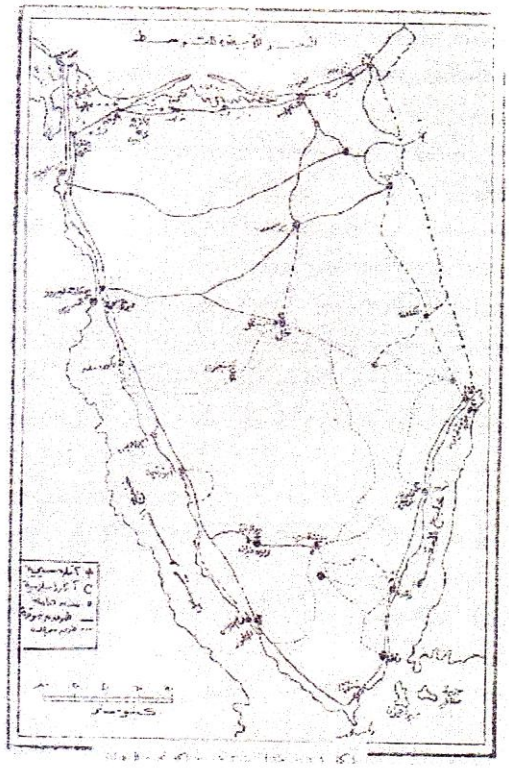

شكل ١ : خريطة لسيناء
توضح مراكز تجمع
الرهبان

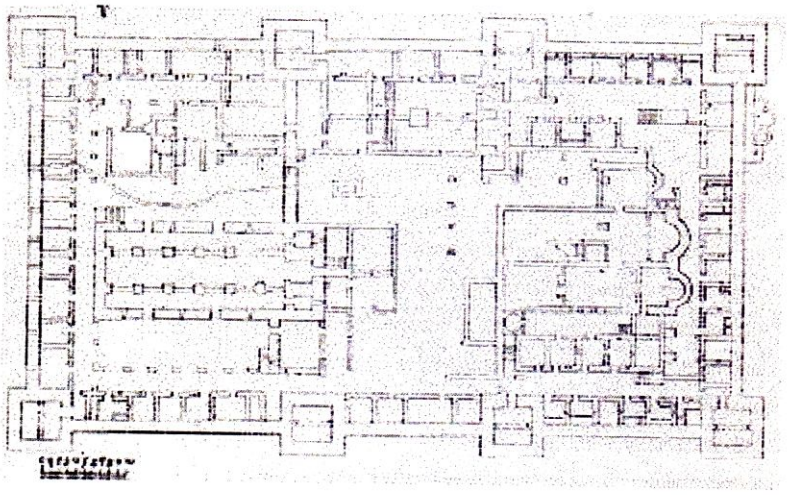

شكل ٢ : مسقط أفقى لدير الوادى بالطور فى القـــرن الســـادس
الميلادى (من عمل الباحث)

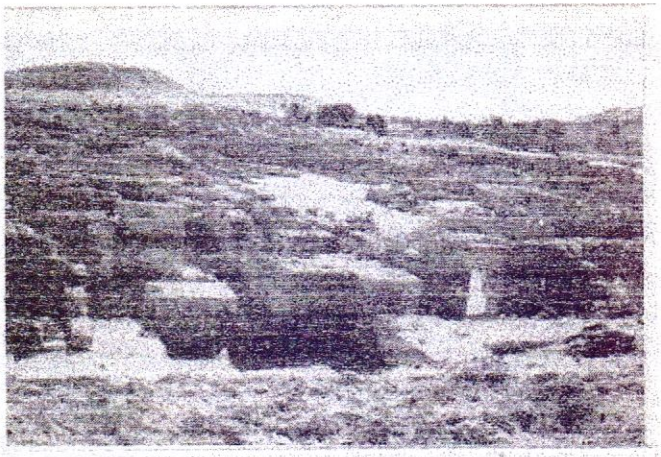

صورة رقم ١ : منظر عام لدير الوادى بالطور (القرن السادس الميلادى)

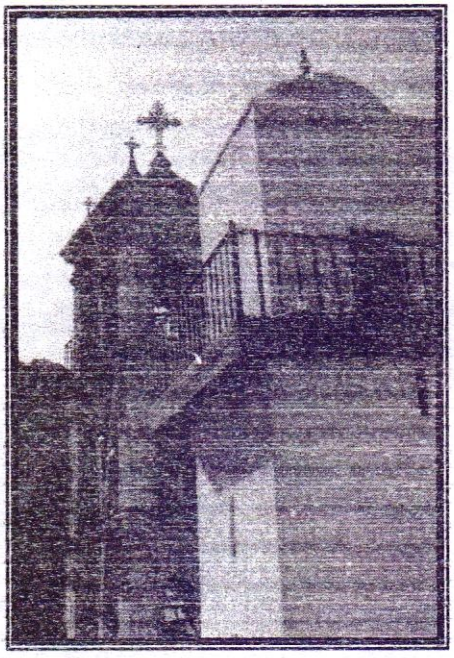

صوره رقم ٢ : مئذنة المسجد الفاطمى تعانق برج كنيسة التجلى فوق البقعة التى ناجى عندها موسى عليه السلام ربه وتلقى فيها ألواح الشريعة الموسوية

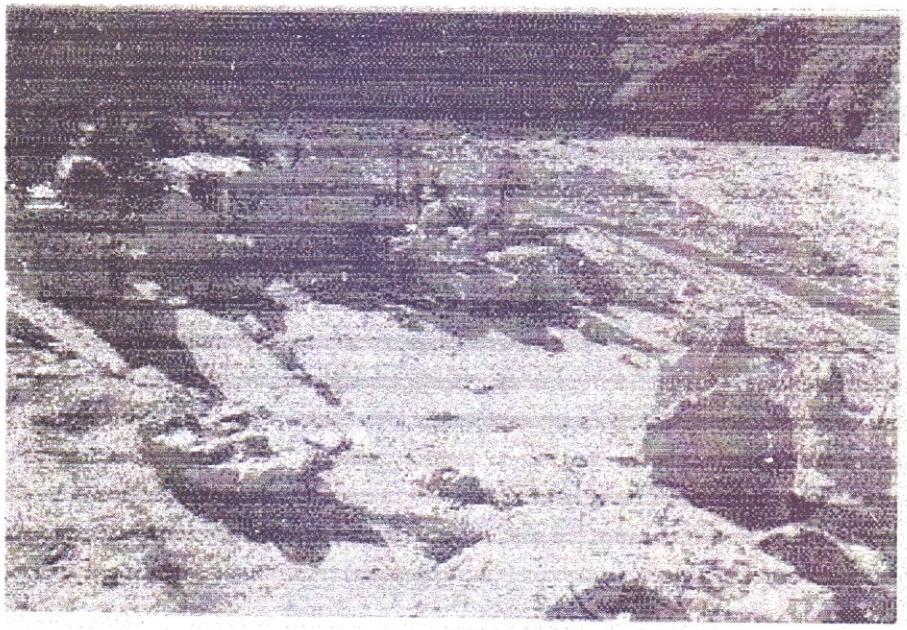

صورة رقم ٣ : أبرشية فيران فى القرن الخامس الميلادى

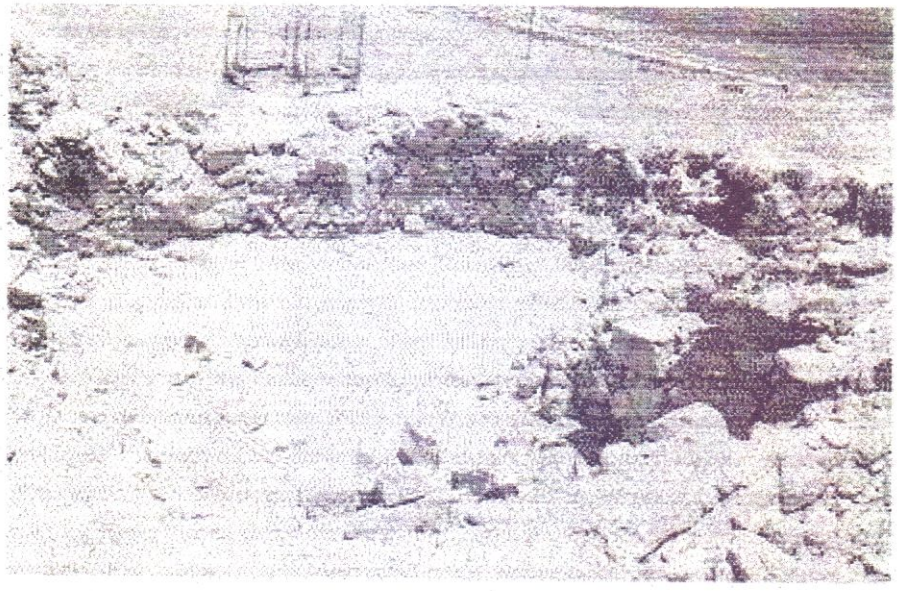

صورة رقم ٤ : البازيلكا البيزنطية بجزيـــرة فرعـــون (القـــرن السادس الميلادى)